الأهرام

المصدر: الخليج

التاريخ: ٤ يناير ٢٠٠٣

نهايــة الجغرافيــا

د. محمد بن هويدن

السعي الأمريكي لضرب العراق سيكون الشعلة التي ستوقد النار التي ستأتي على كل ما هو اخضر ويابس حول مفاهيمنا نحن نحو الجغرافيا

اذا كان فرانسيس فوكوياما قد استشرف الوضع الدولي الراهن بعد سقوط الاتحاد السوفييتي ونهاية الحرب الباردة واعتبر ان التاريخ قد انتهى لمصلحة الليبرالية الديمقراطية، بمعنى ان تطور المجتمعات البشرية بلغ نهايته بالليبرالية الديمقراطية والرأسمالية القائمة على اقتصاد السوق، فإن ما يجري في عالم اليوم وخاصة في عالم ما بعد الاعتداء على هيبة وكرامة الولايات المتحدة، وما تخطط له واشنطن من تغييرات جذرية في النظام الدولي والانظمة الاقليمية المختلفة في العالم ليس إلا مؤشرا على بداية نهاية الجغرافيا بالدرجة الاولى. فالجغرافيا التي تعلمناها والتي تركز على السيادة الوطنية للدول على اراضيها ورعاياها وممتلكاتها ما عادت هي ذاتها اليوم. فالعولمة جاءت بمثابة الجيش المجهول الذي كسر الحدود والفواصل الجغرافية بين الدول وأعلن قيام عالم ليس شبيها بقرية عالمية فحسب وإنما عالم اقرب ما يكون الى غرفة يتأثر كل ركن فيها بنتيجة ما يحدث في الركن الآخر. وأصبح للعولمة اعتى جيوش العالم تدافع باسمها وتحمي وجودها وتضرب عرض الحائط بكل ادبيات الجغرافيا.

وفي ظل هذا الوضع هناك أناس يحاولون اثارة القلاقل والمشكلات لرفض مثل هذا التيار الجارف ويصرون على التمسك بجغرافيتهم ورفض كل ما تحاول العولمة فرضه على مجتمعاتهم من فكر وتطبيق. وعليه فلا الاشخاص كتب عليهم ان يعتبروا خارج منظومة الاطار الفكري والأدبي لعالم ما بعد نهاية التاريخ وبداية نهاية الجغرافيا، وحق عليهم تلبيسهم صفات الشر والارهاب والراديكالية والخروج على القانون، وأن ينزل عليهم غضب أعتى جيوش العالم عقابا على رفضهم.

وعليه انتهت الجغرافيا التي تعلمناها وعلمناها. لقد انتهت الجغرافيا التي كانت عاملا حاسما في ردع الاخطار والاعتداءات الخارجية المهددة لأمن واستقرار سيادة الدول لمصلحة عالم تستطيع فيه دولة قوية غزو دولة اخرى عسكريا من على بعد آلاف الاميال، وضرب العراق ويوغسلافيا وأفغانستان يعطينا مثلا بارزا على ذلك. لقد انتهت الجغرافيا التي كانت من خلالها قدرات الدول محدودة النطاق على شن الحروب لمصلحة عالم يستطيع فيه القوي شن اكثر من حرب واحدة في وقت واحد في أي بقعة من الارض، والشكر للأساطيل البحرية والقواعد العسكرية. ولقد انتهت الجغرافيا التي تكون للدول فيها السيطرة المطلقة على اراضيها لمصلحة عالم يحق لدولة قوية ممارسة وفعل ما تشاء في ارض غير ارضها تحت غطاء التعاون الأمني المشترك كما هو الحال في الوجود العسكري الامريكي في اليابان وكوريا الجنوبية ودول اخرى كثيرة. ومن ينسى عمليات العنف والاغتصاب والقتل التي تحدث في تلك البلدان من قبل الجنود الامريكيين والتي تمر مرور الكرام دون قدرة على المساءلة من قبل الدول المستضيفة؟

انتهت الجغرافيا التي كانت تتحكم في دخول كل صغيرة وكبيرة لأراضي الدول لمصلحة عالم يتجسس فيه عن بعد القوي بما لديه من تكنولوجيا فائقة التقدم. انتهت الجغرافيا التي كانت اخطاء جنود ومسؤولي دول العالم تمر دون مساءلة لمصلحة عالم تكون اعمال وأفعال قيادات العالم، باستثناء الولايات المتحدة، مراقبة ومحسوبة، وعليه لا يتجرأ كل من

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

يعتبر مخالفا ان يغادر بلده دون ما يتعرض لتهديد الايقاف ومن ثم المساءلة من اطراف دولية كثيرة تطالب برأسه.

انتهت الجغرافيا التي كانت في يوم من الايام المحدد لخط سير دولة مثل اليابان لمصلحة فكر جديد فرض على اليابان الانتقال الى عالم ما بعد الجغرافيا والمشاركة العسكرية الفعلية وللمرة الاولى في تاريخها في الحملة العسكرية الامريكية ضد افغانستان، والآن ضد العراق بإرسالها سفينة عسكرية متطورة للمساهمة في المخطط العسكري الامريكي. لقد انتهت الجغرافيا التي كانت في يوم من الايام تمثل الفاصل المانع لانتقال الافكار بمختلف ألوان طيفها من بلد لآخر، فما عادت اليوم الافكار الغربية هي وحدها التي غدت تعزو العالم بل ان افكارا كتلك التي يعتبرها العالم المتحضر ارهابية غدت هي كذلك تغزو العالم لدى شرائح المجتمعات المختلفة، وبات على مثل تلك الدول مواجهتها بشتى الطرق. لقد انتهت الجغرافيا التي كانت تعلمنا المحلية والاقليمية لمصلحة العالمية، فها هو حلف الناتو بدأ يطلق زمام اقليميته نحو العالم، وها هي منظمات اقليمية كمنظمة جنوب شرق آسيا (آسيان) تكسر الحدود نحو دول تبعد عنها آلاف الاميال وتضمها في عضوية بعض من آلياتها. ولقد انتهت الجغرافيا التي كانت تحافظ على ثقافة وعادات ومعتقدات الدول لمصلحة عالم يحس فيه المواطن انه غريب في بلده.

ليس فقط التاريخ هو الذى انتهى وإنما نحن بصدد بداية الجغرافيا. والسعي الامريكي لضرب العراق سيكون الشعلة التي ستوقد النار التي ستأتي على كل ما هو اخضر ويابس حول مفاهيمنا نحن نحو الجغرافيا. وما الدعوة الامريكية الرسمية لإعادة رسم خارطة المنطقة العربية إلا انذار لإنهاء جغرافيا المنطقة التي ستؤدي الى بروز منطقة اشبه ما تكون بولايات امريكية يتمتع فيها المواطن الامريكي بحقوق تفوق حقوق المواطن الاصلي، إنها جغرافيا العالم الجديد التي تكون فيها مصالح الولايات المتحدة لها مطلق الحرية في التحرك من دون ادنى عقبة سواء كان ذلك في شرق العالم او غربه.

ويبقى السؤال: هل ادرك العالم خطورة نهاية الجغرافيا؟ على ما يبدو انه متيقن ولكن حكم القوي دائما يفرض نفسه على الضعيف، وما على الضعيف إلا الانصياع شاء أم لم يشأ وفي عالم كهذا فلنقل نحن العرب لجغرافيتنا السلام لأنه لا جغرافيا بلا سيادة، ومن منا يا ترى يمارس اليوم حقه الكامل والمطلق في سيادته على ارضه وشعبه وممتلكاته؟ لا سيما ونحن الذين تمسكنا بكل ما لدينا من قوة بجغرافيا كل قطر عربي رافضين ان تعمم تجربة وحدوية كهذه التجربة الغالية في دولة الامارات الحبيبة على اقطار عربية اخرى. لقد قلنا: لا لنهاية الجغرافيا وها هي نهاية الجغرافيا تفرض علينا فرضا ولكن وللأسف نهايتها هذا الوقت ليس المقصود بها مصلحتنا وإنما مصلحة الغير. ونهايتها لا تعني توحيدنا وإنما تمزيقنا أكثر وأكثر بفتح باب التدخلات الاجنبية في شؤوننا على مصراعيه. ونقول مسكينة أنت «يا الجغرافيا» فلقد أصبحت «مال زمان اول» كما نقول نحن هنا في هذا البلد الغالي، ونسأل الله العلي العظيم ان يخفف مواجع نهاية الجغرافيا على عالمنا العربي المسلم.

---

binhuwaidin@hotmailm.com

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية